صورة الآخر في شعر الشاب الظريف

م.م. حوراء خالد شاكر

جامعة النهرين / رئاسة الجامعة / شعبة السلامة والأمن الكيماوي والبايولوجي

howraa.a.23@nahrainuniv.edu.iq

الملخص:

تكمن أهمية الدراسة بتناول صورة الآخر في شعر الشاب الظريف وبيان مقدار تأثره بالآخر من النواحي الثقافية والفكرية والاجتماعية ، حيث ترمي اهداف البحث الى معرفة كيفية تأثر أفكار الشاعر بالآخر وكيف عبر عنه، ويأتي ذلك من خلال رصد هذه الصورة في شعره ، فقد اظهر ذلك التأثير من خلال ما ادخله الآخر للمجتمع العربي من عادات وتقاليد جديدة غيرت أسلوب ونمط حياته المتعارفة سواء كان ذلك بطريقة مباشرة او غير مباشرة ،أما عن اشكالية البحث فتكمن في اختلافية الشاعر عن وصفه للآخر فتارة يجسد المدح للآخر بصورة تعبر عن المحبة والاعجاب له ،وتارة أخرى ينتقده وينتقد أساليبه وافكاره ومعتقداته بصورة واضحة في شعره ، أما نتيجة البحث فقد توصلت الى قدرة الشاعر الفنية على التعبير عن الآخر من خلال تنوع أسلوبه في الطرح متمثلاً ذلك بشكل واضح وبلغة سهلة ومفهومة للعامة وهذا كله جاء نتيجة ادراك وفهم عالٍ للشاعر، وعن تجربة تكشف بيان تأثره بسياقات المجتمع الثقافية والسياسية والفكرية ومحاولة ربط ذلك بالآخر .

الكلمات المفتاحية: (الآخر، الشاب الظريف، تطبيق).

The image of the other in the poetry of the charming young man

M.M. Howraa Khalid Shaker

Nahrain University / University Presidency / Chemical and Biological Safety and Security Department

howraa.a.23@nahrainuniv.edu.iq

Abstract:

The importance of the study lies in addressing the image of the other in the poetry of the funny young man in particular and showing the extent of his influence on the other from cultural, intellectual and social aspects, as the objectives of the research aim to know how the poet's ideas are influenced by the other and how he expressed it, and this

comes through monitoring this image in his poetry, as this influence has been shown through what the other has introduced to Arab society of new customs and traditions that have changed the style and pattern of his known life, whether directly or indirectly. As for the problem of the research, it lies in the poet's difference in his description of the other, sometimes he embodies praise for the other in a way that expresses love and admiration for him, and at other times he criticizes him and criticizes his methods, ideas and beliefs in a clear manner in his poetry. As for the result of the research, it has reached the poet's artistic ability to express the other through the diversity of his style in presenting and expressing it clearly and in an easy language And understandable to the public, and all of this came as a result of the poet's high awareness and understanding and an experience that reveals his statement of his influence by the cultural, political and intellectual contexts of society and his attempt to link that to the other.

Keywords: (the other, the charming young man, application).

تمهيد:

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم النبيين والمرسلين محمد صلى الله عليه وسلم وآله الطيبين الطاهرين. أما بعد ، كان اختياري لهذا الموضوع نتيجة ما ألمت به نفسي من معرفة هذا الشاعر والاطلاع على ابداعه الشعري، وجاء أيضاً بنية على ما قلَّ من دارسي هذا الشاعر بالتحديد، وقلة المطلعين عليه مما زادني الفضول من دراسته ومعرفة أفكاره وقياس مقدار تأثره بالآخر ، أما عن تقسيمات البحث فقد جاء في ثلاثة محاور، فضلاً عن ملخص وتمهيد وقائمة بمصادر البحث ، فقد جاء المحور الأول بعنوان : التعريف بالشاعر الظريف بالتحدث عن اسمه وعصره وكنيته وديوانه، اما المحور الثاني قد جاء بعنوان : مفهوم صورة الآخر ويتحدث عن دلالة الآخر وكيف تناوله الشاعر في شعره ، وجاء المحور الثالث ليكون بعنوان : نصوص تطبيقية عن الآخر في شعر الشاب الظريف، حيث أبرز فيه الجانب الفني للشاعر من رسمه للآخر، محاولاً إيصال أفكار ودلالة المصطلح بأسلوبه الفني الخاص .

المحور الأول: التعريف بالشاعر الظريف

هو شمس الدين بن العفيف التلمساني ، محمد بن سليمان بن علي شمس الدين بن عفيف الدين التلمساني وهو شاعر مجيد ابن شاعر مجيد (١)

ولد سنة ٦٦١هـ في القاهرة ، حيث عنى والده بتربيته ، إذ علمهُ حفظ القرآن وأخذ يختلف الى حلقات الشيوخ ، مما ساعد هذا الأمر إلى تفتح ملكته الشعرية مبكراً، فراح ينظم قصائد عن المدح والغزل وغيرها من الموضوعات، إلا انه اشتهر بغرض الغزل حيث كان شعره يشع عاطفة ووجدان مصوراً ما يثير الحب في القلوب من المشاعر والعواطف معبراً عن ذلك بلغة سهلة تلذ فيها الالسنة والآذان معاً وفي غزله رقة (٢)

وقد غلبت التسمية بالشاب الظريف حيث أصبح لا يُعرف لا بهذا اللقب ويرجع ذلك إلى ما يتميز به الشاعر بأنه كان ظريفاً لعَّاباً مُعاشراً وكان شعره في غاية الحسن (٣) وعن سبب التسمية أيضاً قال عنه الصفدي بأنه شاعر فيه لعب وعشرة وانخلاع ومجون (٤) وقال عنه جمال الدين ابن التغري بأنه "كان شاباً فاضلاً ظريفاً، وشعره في غاية الحسن والجودة "(٥)

فقد أبدع الشاعر بذكر المحسنات البديعية مثله كمثل أي شاعر في عصره ، حيث أبدع بالوصف والتعبير فهو غير ثابت في الوصف ، اذ يختلف وصفه حسب الحدث أو الصور التي قد تؤثر فيه، فلا عجب من ذلك فهو شاعر من شعراء العصر المملوكي وهذه الحقبة كانت توصف بالضعف والانحطاط والاستبداد نتيجة الحكام الذين حكموا تلك الفترة أو الحروب التي مروا بها (٦) وبالتالي ، فقد اثرت تلك العوامل على الشعر ، مما جعلت العديد من الشعراء في تلك الفترة يأخذون الأفكار عن سابقيهم من الشعراء ، إلا اننا نلاحظ بأن الشاب الظريف برع بأسلوبه المميز في طرحه للأفكار ومحاولة إبراز موضوعات مختلفة مما اكسب شعره التميز والتألق ، فضلاً عن أسلوبه الشعري السلس الذي يفهمه عامة الناس.

أما عن ديوان الشاعر فقد ترك لنا ديواناً ضخماً بالرغم من صغر سنه ، ديواناً يلم بمواضيع وجدانية وبديعيات في مدح الرسول (صلى الله عليه وسلم) ، فضلاً عما ورده من ذكر للآخر بأسلوب شيق ومفهوم، وكان له أيضاً في النثر نصيب حيث وجدت عنده مقامات (٧)

فقد تناول الديوان محققين اثنين ، وهما الدكتور شاكر هادي شكر حيث طبع مرتين مرة في النجف الأشرف سنة ١٩٦٨ م ، والثانية سنة ١٩٨٥م، أما التحقيق الثاني ، فقد حققه وشرح عليه الدكتور صلاح الدين الهواري سنة ٢٠٠٤ م، ومن الجدير بالذكر أيضاً ان المحقق الدكتور شاكر هادي شكر اضاف بعد تحقيقه الديوان مقالاً عدَّ تتمة لإشعار الشاعر نشرها بمجلة المورد العدد (٣) وجاءت بعنوان (ما لم ينشر من شعر الشاب الظريف) ، وقد كان ذلك سنة ١٩٧٨ م ليوضح موقفه الفني والعلمي من تحقيقه للديوان.

أما عن ما ذكر بوفاة الشاعر الظريف ، فقد توفاه الله وهو شاب لم يتجاوز السابعة والعشرين من عمره وذلك سنة ٦٨٨ هجرية (٨) ودفن في مقابر الصوفية، فقد توفى قبل والده محمد بن سليمان مما كانت الفاجعة قاسية على أبيه ، لأنه ابنهُ الوحيد (٩) فبالرغم من صغر سنه إلا أنه اثبت جدارته وقريحته الشعرية في التعبير والوصف.

المحور الثاني: مفهوم صورة الآخر

يشير مفهوم الصورة بمعناها اللغوي على الشكل والهيئة، فصورة الشيء هو ماهيته المجردة، وتصوّر الشيء تخيله ، أي استحضر صورته في ذهنه (١٠) فالصورة هي نسيج خيالي يرسمه الشاعر في ذهنه بطريقة فنية ، مستعيناً بالأساليب البلاغية مثل التشبيه والاستعارة والمجاز وغيرها ، ليحاول إيصال تلك الصورة التخيلية وأفكاره إلى المتلقي.

أما عن مفهوم صورة الآخر ، فيقصد بها في هذه الدراسة هي صورة الشخص غير العربي ، أي الشخص الذي لم يصل نسبه إلى قبائل العرب ، ومنهم الفرس والروم والاحباش وغيرهم (١١)

فصورة الآخر تركز على المختلف عرقياً وحضارياً وفكرياً عن العرب، وهذه الصورة رسمها العرب نتيجة الأيديولوجية الدينية التي تزعم أنها استطاعت تكوين صورة للآخر المختلف عنهم فكرياً ، وشحنها بالدلالات والرموز والمعاني وقبل ذلك تكوين صورة عن ذاتهم باعتبارهم مرجعية يقاس بها الآخر (١٢)

وعند قراءة شعر الشاعر نلاحظ إن الأنا هي مركز الشخصية عنده تفصح عن قدراتها من خلال تأثره بالبيئة المحيطة أو الوسط الاجتماعي الذي يؤثر فيه ويبرزها مما يؤدي هذا الأمر إلى تلازم الذات مع الآخر (١٣)

وكان للمجتمع الأثر البالغ لدى الشاعر في رسم صورة الآخر ، بالرغم من اتصال ثقافة وعقائد ذلك الآخر بالعرب نتيجة عوامل ساعدت على ذلك مثل التجارة أو الحروب وغيرها جعل من الآخر يستدل بأفكاره ومعتقداته المختلفة إلى ثقافة العرب محاولاً التأثير فيه.

إن فكرة الآخر وصورته عند الشاعر ليس فقط على أنه المنفي المختلف كما عبرت عنه العرب وإنما مثلَّ صورته من حيث الهيئة آو الأسلوب والوصف ويعبر عن معتقداته وكيف اثرت افكاره داخل البيئة العربية التي طالما اشتهرت بنمط عيش مختلف عنه بالثقافة والأفكار.

وإن جانب عدم الانسجام هذا يمثل جانباً صعباً ، لأن الأنا والآخر جزء من تشكيلة اجتماعية ودينية وثقافية واحدة ، إذ لا يمكن الفصل بينهما الا أن تكون على اساس خلاف قائم على نظريات ومصالح تجعل من صاحب المصلحة نداً لهذا الآخر ، أي خصماً له ، وبالتالي ينعكس ذلك بدوره بشكل أو بآخر على الشعر (١٤)

وبهذا كان ولا بدَّ من دراسة هذا الفن في شعر الشاب الظريف وفق رؤية تحليلية نبرز من خلالها جانب التأثر عند الشاعر بهذا النوع الفني وكيفية التعبير عنه.

المحور الثالث: نصوص تطبيقية عن الآخر في شعر الشاب الظريف

تستوقف دراسة هذا المحور على استقصاء صورة الآخر في شعر الشاعر وتحليلها وبيان مقدار تأثره بالآخر ، سواء كان مدحاً أو ذماً أو وصفاً لهيئته العامة، مما يكشف أسلوبه الشعري المعبر عن هذا الفن من مدى عبقرية الشاعر وسعة ثقافته ومعرفته بالرغم من صغر سنه فلا شك أن تلك المعرفة قد جاءت ايضاً متوارثة عن أبيه التلمساني الصوفي فضلاً عن اختلاطه بالمجتمع والتأثر بأفكاره المختلفة وهذا الاختلاط والامتزاج الثقافي أوضح هذا الفن في شعره.

وبداية نلاحظ في شعر الشاعر عند ايراده صورة الآخر تأثر الفاظه بالدين الإسلامي وهذا التأثر ناتج عن مرجعيات ثقافية دينية اتسم بها، إذ نراه يذكر شخصيات دينية جاء بها على وفق قناعة وبما يكتنفه من مادة تاريخية ومن قيمة معنوية ودلالة ايحائية يريد أن يوصلها إلى المتلقي بصورة شعرية مفهومة ومطروقة (١٥) فمن نحو ما يقول:

نار الهوى ليس يخشى مثل قلب فتى يكون فيه لإبراهيم أرجاء (١٦)

في النص يصف الشاعر الزمن كونه آخراً ضمنياً مجسداً لأنا الشاعر المستذكرة للحبيبة الغائبة والتي تشكل الآخر الأساس في النص، ثم يستحضر الشاعر شخصية نبي الله ابراهيم ليحقق سياقا تشبيهياً يجسد نار الشوق التي تحرق أنا الشاعر بغياب الحبيبة كالنار التي اشعلها الكفار لنبي الله ابراهيم.

ومن قوله أيضاً في نفس الموضع من وصف نار سيدنا ابراهيم (عليه السلام):

ليس خليلاً لي ولكنهُ أضرم في الاحشاء نار الخليل (١٧)

وفي قوله:

صدت بلا سببٍ عني فقلتُ لها يا اخت يوسف مالي صبر أيوب (١٨)

اذ وظف الشاعر في النص صورة الفراق التي حدثت لنبي الله يوسف مع ابيه يعقوب، فضلاً عن صورة الصبر لنبي الله أيوب وهو يصارع المصائب والمرض، فتوظيفه للشخصيات للدينية رسمت قصدية الشاعر من الآخر.

واستحضر صورة الآخر من قوله:

ما أنصفوا الخضر الباني جدارهم لما أراد بأن ينقض حين بنى

فاستطعما أهلها موسى وصاحبه فلم يضيفوهما شيئاً فكيف لنا (١٩)

فالشاعر هنا يهجو قرية تدعى قَطَناً ، وهي قرية من قرى دمشق (٢٠) لإنها لم تقم بإطعامهم ومساعدتهم كالقرية التي دخلها نبي الله موسى (عليه السلام) والخضر حيث اقتبسه من النص القرآني من نحو قوله تعالى:" فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهۡلَ قَرۡيَةٍ ٱسۡتَطۡعَمَآ أَهۡلَهَا فَأَبَوۡاْ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارٗا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ "(٢١) فقد ساعد استحضار الآخر الديني في النص من تقريب المعنى الذي يريده الشاعر وهو صورة الضجر من اهل القرية وبيان شدة بخلهم بالطعام.

ولقد عبّر الشاعر أيضاً اثناء وصفه للآخر بكلمة "المولى" حيث كانت هذه المفردة بارزة في شعره وبالذات عند ايراده للآخر فكان لابدّ من معرفتها، فقد اطلقت لفظة المولى على الحليف والصاحب والجار والشريك أو إلى غير ذلك هذا ما كان من معناها اللغوي أما معناها الإسلامي فتختص كلمة مولى بمعنيين اوله المعتق ويسمى مولى العتاقة أي رقيق اعتقه سيده فيصير المعتق منسوباً إلى المعتق بالولاء أما الثاني ، فيسمى بالحليف ، أي مولى الموالاة أي هو رجلٌ ينتمي للآخر بالمخالطة

أو الخدمة أو المحالفة فينسب أليه ، إلا ان الموالي يقصد بهم كل من أسلم من غير العرب ، أما قد يكون أصلهم أسرى حرب ، وأما أن يكونوا من أهل البلاد المفتوحة وانهم عندما يسلمون ينضمون إلى العرب ويتحالفون معهم ويصبحون موالي أيضاً (٢٢)

وقد غلب في شعر الشاعر المعنى الثاني من الموالي من نحو ما قاله مادحاً زين الدين:

لفظٌ يرق كما ترق مدامة أم خلق زين الدّين رق لصحبه

ذو غرة ود الزمان لو أنه يجلو بنيّرها دجنة خطبه

ومناقب علوية لما بدت فرح الظلام وظنّها من شهبه

مولاي دعوة من لو اقترح المنى ما كان إلا أنت غاية اربه (٢٣)

فقد عرض الشاعر صورة الآخر المولى بإنه ذو خلق وذو مناقب علوية عظيمة حيث وصف وجهه بالنور الذي يضيء دجنة الظلام من طلعته البهية فهذه كانت غايته بأن يريد التقرب منه وأن يصبح حليفة ويناصره.

واستحضر الشاعر شدة وجده وتحيزه للآخر المولى وذلك اثناء مدحه للقاضي محمد بن يعقوب قائلاً:

هو ذلك القمر الذي القمر الذي متناقص بدر الدجى لكماله

لو كنت املك خدّهُ افنيته باللثم او أذبلت ورد جماله

الحرب بين عهوده ووفائه كالسلم بين وعوده ومطاله

عان التعطف حين تبصر عانيا وإذا ظفرت بواله بك واله (٢٤)

ونرى ان الشاعر اظهر جانب التغزل والود للآخر (المولى)، حيث وصفه بالجمال والكمال وحسن الهيئة فضلاً عن تشبيه حروبه التي يخوضها بأنها كالسلم من حيث ايفاءه بالوعود والعهود اذ كان يتسم بالوفاء.

ومن صورة الآخر المولى حينما قال:

إني لفي كنف مولى جود راحته كم راحة وصلت منه لإنسان

ما اسكتتني بالمعروف منه يد إلا وسرح تسريحاً بإحسان (٢٥)

فقد رسم الشاعر صورة مولاه بالجود والكرم ، حيث اقتبس الفاظه من القرآن كريم نحو قوله تعالى: "فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ "(٢٦) حيث ساعد اقتباسه القرآني من تقريب صورة الآخر للقارئ من حيث جوده وسخائه التي تحلى بها.

فالآخر المولى لم يكن قاصراً على انه من الفرس فقط ، وإنما تعددت اصولهم من الروم أو الحبشة أو النبط الذين دخلوا في المجتمع الإسلامي وتعايشوا مع العرب ، إلا ان الغالب على الموالي كان من الفرس (٢٧)

عندما يكون الشاعر متأثراً بالمجتمع وبالثقافات المتنوعة فيه ، كان ولا بد أن يذكر معتقدات الآخر المسيحي ، فنراه يصور معتقدات النصرانيين في السيد المسيح ، إذ نراه يذكر التثليث عندهم ويعني باعتقادهم بان الله سبحانه وتعالى تجسد بعيسى (عليه السلام) وبمريم العذراء ام المسيح فهؤلاء أصبحوا ثلاثة (٢٨)

إلا إن الشاعر بينَّ ان الإسلام جاء ليفسد هذه العقيدة الخاطئة من ذلك قوله:

رأى المسيحيون منه دميةً تعطوا كبدرٍ فوق غصنٍ مائد

فبرهنُوا تثليثهم بشكله لمّا رأوا ثلاثةً في واحدٍ (٢٩)

ومن قوله أيضاً يصف المعتقد الخاطئ للآخر المسيحي:

وعابدين من المحراب قد هربوا ترى المسيح يوافيهم على قدر

وتابعين إماماً وهو من خشب وقد يؤنث في وصف وفي خبر (٣٠)

وورد الشاعر صورة الاخر القسيس اذ وصفه بالشيطان يفسد أعوانه بالأفكار السامة ، حيث قال:

قالوا سمعنا في البلاد قضية مضمونها أن قد قضى القسيس

فأجبت قد كان الذي خبّرتموا عنه وخرب ربعه ابليس (٣١)

فنرى ان الشاعر عندما يذكر الآخر المسيحي فانه يستنكر معتقداته وافكاره بصورة جلية في شعره وهذا يعود إلى انا الشاعر الإسلامية الرافضة والغير متقبلة لمعتقدات الآخر المسيحي، فضلاً عن ذلك البيئة التي لعبت دوراً في رسم هذه الصورة الرافضة للآخر المسيحي.

ولقد كان لصورة الآخر التركي حضوراً في شعره أيضاً ، ويرجع ذلك بتحكم الاتراك على الأراضي العربية منذ العصر العباسي وقيامهم بتكوين الولايات والاقاليم وتوليهم أمور الدولة كما يريدون (٣٢) ، فمن ذلك يقول الشاعر مادحاً الأمير علم الدين سنجر الدواداري التركي ت٦٩٩هـ:

لطيفٍ لطيفٍ من خيالك طارق بليلٍ بليلٍ فيه للسحّب مسحب

يعلمه فرط القساوة اهله فيعطفه الخلق الجميل فيغلب

يشق جلابيب الدجنّة زائري على رغم من يلحى ومن يترقب

فأخجله ممّا ابثّ عتابه ويخجلني من فرط ما يتأدب

أما والمعالي والأمير وانني لأقسم فيه صادقاً لست اكذب

لقد قلدوني فوق مالا أطيقه وقد قلّدوني فوق ما أتطلّب (٣٣)

فقد راح الشاعر واصفاً الآخر التركي بأبهى صورة من حيث الهيئة وطيب المعاملة وحسن التدبر، فضلاً عن جوده وكرمه لرعيته ، فتلك الاوصاف التي قالها الشاعر عن الآخر دلت على معرفة ودراية للممدوح محاولاً كسب تعاطفه ووده والتقرب منه.

ولقد عرف العرب أيضاً الآخر الفارسي نتيجة الاحتكاك بهم عن طريق التجارة أو الحروب أو المعاهدات التي كانت تقام آنذاك من بعض القبائل العربية مع الآخر الفارسي أو غيره ، مما آثر ذلك بدوره على الشعر العربي (٣٤)

فنلاحظ تأثر الفاظ الشاعر بألفاظ الآخر الفارسي وذلك عندما قال:

وليل شربنا فيه كأساً من اللمّى على جلّنار من خدود الحبائب (٣٥)

ففي النص تأثر واضح بلفظة الآخر الفارسي (جلنار) وهي تسمية تطلق على زهر الرمان (٣٦) فجلنار أصلها فارسي وهو كلنار بعد ذلك عُربت (٣٧)

ومن قوله ايضاً متأثراً بالفاظ الآخر الفارسي :

نشَّفتموني في هواكم وقد اخذتموا رأسي في جردقة (٣٨)

لقد ساعد التأثر بالآخر في النص من إعطاء وصف دقيق لانا الشاعر وهو معذب من بعد المحبوبة عنه ، حيث شبه حاله كرغيف الخبز الذي يوضع في رأس القدر وينشف ما على المرق من دسم، فإيراد لفظة كردة الفارسية ساعدت في وصف حالة الشاعر وتقريب المعنى بصورة دقيقة للمتلقي (٣٩)

وأبرز الشاعر تأثره بمظاهر التسلية للآخر الفارسي من خلال ذكره لعبة الشطرنج التي تأثر بها العرب اثناء فتح بلاد فارس مما ساعد اختلاط العرب والفرس من اشتهار لعبة الشطرنج شهرة واسعة (٤٠) من ذلك يقول مشبهاً السماء وترتيب نجومها برقعة الشطرنج الذي لم يبقى فيه الا حجر النقش والبيدق:

انظر إلى الأفق تبدّى بدره وحوله من كل نجم شارق
كرقعة الشطرنج الا انها لم يبق الا النقش والبيادق (٤١)

ونلاحظ في شعر الشاعر استحضار صورة العبودية والاسترقاق، فهي ظاهرة قديمة ترجع إلى ما قبل الإسلام حيث انتشر الرقيق وهو من الآخر غير العربي وقد كان وجودهم في المجتمع العربي نتيجة الفتوحات الإسلامية وكثرة الحروب ، حيث كانت غنائم المسلمين من الرقيق والسباية، وقد أطلق لفظ العبيد على الرقيق عامة حيث أصبحت تطلق على كل من وقع استرقاقه واستعباده ويفرض عليه من الاعمال والوظائف من قبل سيده (٤٢)

فنراه يقول:

كم بت تفكر بغضاً كيف تسخطني وبت أفكر حباً كيف ارضيكا
يا ناظري ارقدا لا للخيال ويا قلبي استرح من هوى من كاد يفنيكا
وكيف أرضى لنفسي أن أسود من لم يرضى إني له أصبحت مملوكاً (٤٣)

فقد اظهر الشاعر جانب الاستعطاف للمقصود وبيان ذلك من خلال محاولة ارضاءه وكسب مودته مخاطباً المعني بألامر بأنه قد مثل نفسه بالآخر العبد وأنه قد أصبح مملوكاً له كما يفعل السيد بعبده.

وتمثلت انا الشاعر ايضاً بالعبودة اثناء مدحه فتح الدين محمد بن محي الدين ابن عبد الظاهر حينما قال:

كأنما كف فتح الدين وجنته لذاك يحسن في ساحاتها القبل
ان قلت يمناه مثل البحر صدقني بها مناهل منها تشرب القبل
يا معدن الجود لا أبغي سواك ولو فعلت ذلك سدت عني السبل
ان ابن بابك محسوب عليك ولي حق العبودة مشفوع به الامل (٤٤)

فبرزت صورة العبد من خلال تمثل انا الشاعر بها، تجلت من خلال تعطفه للممدوح ووصفه بالجود ، حيث شبه كف ممدوحة بالعطاء والجزية مثل البحر من كرمه الذي لا ينتهي، فقد لازمت انا الشاعر صورة الآخر العبد وذلك لإرضاء الممدوح والتقرب منه .

لم يقف الشاعر من وصف الآخر من حيث النسب أو العرق وإنما كان لوصف الهيئة والشكل الذي تميز به الآخر دوراً في شعره ، وذلك حينما استوقفه رجلاً أشقر فراح يصفه قائلاً:

عابوا من المحبوب حمرة شعره واظنهم بدليله لم يشعروا

لا تنكروا ما احمر منه فإنه بدماء أرباب الغرام مظفر (٤٥)

فالشاعر يبرز دلالة الآخر ويحاول ان يثبت اختلاف الهوية من حيث اللون، فقد أنماز لون شعره عن صفات العربي الذي قد اشتهر بالسمرة وسواد الشعر، فالاختلاف رسم صورة للآخر بأسلوب فني.

ومن الآخر في نحو ما ذهب إليه الشاعر واصفاً قلندرياً حينما قال:

هويت من ريقته قرقف وما له في ذاك من شارب

قلندرياً حلقوا حاجباً منه كنون الخط من كاتب (٤٦)

فالقلندرية هم فرقة صوفية انتشرت في مصر والشام كانوا يحلقون رؤوسهم وشواربهم، حيث كانت هذه الفرقة غير مرغوب بها ومكروهة من قبل فقهاء المسلمين (٤٧) فقد شبه وجهه بعد ما حلقوا حاجبه كحرف النون الذي يكتبه الكاتب.

وهكذا فقد أسهم وجود الآخر في شعر الشاب الظريف عن معرفة مستفيضة للشاعر من خلال اختلاطه بالمجتمع والتأثر بأفكاره وعاداته المختلفة من ناحية الثقافة والسلوك مما عكس هذا التأثر في شعره محاولاً رسم ابعاده الأيديولوجية والتعبير عن ما أقدمه الآخر من تغيرات داخل المجتمع العربي.

المصادر والمراجع :

(١) ينظر: الوافي بالوفيات، صلاح الدين خليل بن ايبك الصفّدي (ت ٧٦٤ هجرية)، تحقيق: أحمد الارنأووط – تزكي مصطفى، دار احياء التراث العربي، بيروت، ط ١، ٢٠٠٠ م، ١٠٩/٣

(٢) ينظر: عصر الدول والامارات (الشام)، د. شوقي ضيف، دار المعارف، مصر ،١٩٩٠م، ص: ٢١١

(٣) ينظر: العبر في خبر من عبر، محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨ هجرية)، تحقيق: صلاح الدين المنجد، دار التراث العربي، الكويت، ١٩٦٠م، ٥ / ٣٥٩

(٤) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣ / ١٠٩

(٥) النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، جمال الدين أبي المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت ٨٧٤ هجرية)، تحقيق: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط١، بيروت، ٧ / ٣٢١

(٦) ينظر: الأدب العربي وتاريخه في عصر المماليك والعثمانيين والعصر الحديث، محمود رزق سليم، دار الكتاب العربي، مصر ،١٩٥٧ م، ص: ٦٩

(٧) ينظر: المعجم المفصل في الأدب، د. محمد التونجي، دار الكتب العلمية، ط٢، بيروت، ١٩٩٩ م، ١ / ٥٤٢

(٨) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ٣ / ١٠٩

(٩) ينظر: ديوان الشاب الظريف، شاكر هادي شكر، مطبعة النجف، ١٩٦٧م، ص: ١٤

(١٠) ينظر: معجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، مكتبة الشروق الدولية ط ٤، ٢٠٠٨ م، ص: ٥٢٨

(١١) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي من العصر الأموي حتى نهاية العصر العباسي، د. سعد فهد الذويخ، عالم الكتب الحديث، ط ١، ٢٠٠٩ م، ص: ١

(١٢) ينظر: صورة الآخر العربي ناظراً ومنظوراً إليه، الطاهر لبيب، مركز دراسات الوحدة العربية، ط ١، بيروت،١٩٩٩م، ص: ١١١– ١١٢

(١٣) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي، فهد سعد الذويخ، ص: ٨

(١٤) ينظر: صورة الآخر في أدب التوقيعات في العصر العباسي، د. اسراء خليل فياض، د. اوفى مزيد الظاهر مجلة الجامعة العراقية، كلية التربية، الجامعة المستنصرية، العدد٥١، ج٣، ص: ٢٢٠

(١٥) ينظر: المرجعيات الثقافية في ديوان الشاب الظريف، نبراس صبر فرحان، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، اشراف: د. علي صاحب عيسى، جامعة ميسان، كلية التربية، قسم اللغة العربية، ٢٠٢٣ م، ص: ٤٠

(١٦) ديوان الشاب الظريف، شاكر هادي شكر، ص:٢٥

(١٧) ديوان الشاب الظريف، ص: ٢٣٥

(١٨) ديوان الشاب الظريف :٦٢

(١٩) ديوان الشاب الظريف: ص:٢٧١

(٢٠) معجم البلدان، للشيخ الامام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي الرومي البغدادي، دار صادر، بيروت، ٣٧٤/٤

(٢١) سورة الكهف، الآية :٧٧

(٢٢) ينظر: الموالي في العصر الأموي، محمد الطيب النجار، دار النيل، ط١، ١٩٤٩ م، ص:١٤

(٢٣) ديوان الشاب الظريف: ص: ٧٢–٧٣

(٢٤) ديوان الشاب الظريف، ص:٢٢٩

(٢٥) ديوان الشاب الظريف، ص:٢٧٤

(٢٦) سورة البقرة، الآية :٢٢٩

(٢٧) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي، سعد فهد الذويخ، ص:٤٦-٤٧

(٢٨) ينظر: الوافي بالوفيات، الصفدي، ١١٣/٣

(٢٩) ديوان الشاب الظريف، ص:١٠٦

(٣٠) ديوان الشاب الظريف، ص:١٣٠

(٣١) ديوان الشاب الظريف، ص:١٤٨

(٣٢) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي، سعد فهد الذويخ، ص:١٦٢

(٣٣) ديوان الشاب الظريف، ص:٣٩-٤٠-٤١

(٣٤) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي، سعد فهد الذويخ، ص:١٤

(٣٥) ديوان الشاب الظريف، ص:٥٥

(٣٦) ينظر: معجم الوسيط، ص:١٣٢

(٣٧) ديوان الشاب الظريف، ص:٥٥

(٣٨) ديوان الشاب الظريف، ص:١٩٢

(٣٩) ديوان الشاب الظريف، ص:١٩٢

(٤٠) ينظر: صورة الآخر في الشعر العربي، ص:٢٢٨

(٤١) ديوان الشاب الظريف، ص:١٨٨

(٤٢) ينظر صورة الآخر في الشعر العربي، ص: ٧٧-٧٩

(٤٣) ديوان الشاب الظريف، ص:١٩٧

(٤٤) يوان الشاب الظريف، ص:١٢٢

(٤٥) ديوان الشاب الظريف، ص:٢٠٩

(٤٦) ديوان الشاب الظريف، ص:٦٩

(٤٧) ينظر: معجم الالفاظ التاريخية في العصر المملوكي، محمد أحمد دهمان، دار الفكر المعاصر، ط١، بيروت،١٩٩٠م، ص:١٢٥